فصل في جماعة آخرين من آل عديِّ بن مسافر

عثرنا عليهم مفرَّقين في كتب التراجم، وليس لأكثرهم علاقة بهذه النِّحلة، ولكنا آثرنا ذكر ملخص تراجمهم توفيةً لأخبار هذه الأسرة وللإعلام بأن بعض أفرادها لم يكن يمتُّ إليها إلا بصلة النسب لا المعتقد.

أولهم: أحمد بن رجب بن محمد بن عثمان بن جميل بن محمد بن أحمد بن عثمان بن سعادة ابن عيسى بن موسى بن أبي البركات بن عدي بن مسافر، هكذا ساق نسبه السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة ولده إبراهيم، وقوله: «ابن عدي بن مسافر.» خطأ إما ممن نقل عنه هذا النسب، أو من ناسخ نسخة الضوء، والصواب أن أبا البركات «ابن أخي عدي بن مسافر» واسم أبيه صخر بن مسافر كما تقدَّم، وكان أحمد هذا من البقاع ثم سكن دمشق، ومات في فتنة التتار سنة ٨٠٣.

الثاني: ابنه إبراهيم بن أحمد بن رجب، ويعرف بابن الزهريِّ؛ لكونه سبط الشهاب الزهري، بل يجتمع معه في «أحمد بن عثمان» أحد الجدود، ولد سنة ٧٧٧، واشتغل قليلًا وولِي قضاء صيدا، وكتابة سرِّ صفد وقضائها وغير ذلك، ومات سنة ٨٤٠، وكان جيِّد العقل، ولم يكن به عيب أعظم من قلَّة العلم، كذا في الضوء اللامع.

الثالث: ابن هذا أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن رجب، ويعرف أيضًا بابن الزهري، ولد سنة ٨٠٦ ببقاع العزيز، وانتقل مع والده إلى دمشق فنشأ بها وأخذ عن كثيرين، ثم سافر إلى القاهرة وناب في القضاء بها، وباشر القضاء في عدَّة أماكن كالرملة وحماة وطرابلس وغزَّة وحلب، فلم تحمد سيرته، ومات سنة ٨٧٨ بلا عقب. عن الضوء اللامع أيضًا.

الرابع: الشهاب الزهري جدُّ إبراهيم بن أحمد بن رجب لأمه، وقد تقدم قول السخاوي أنه يجتمع معه أيضًا في «أحمد بن عثمان». وعثمان هذا هو ابن سعادة بن عيسى بن موسى بن أبي البركات بن صخر بن مسافر، ولم يترجمه السخاوي في الضوء، وإنما ترجم أحد المشهورين بالشهاب بن الزهريِّ، وهو أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد، واقتصر في سلسلة نسبه على هذه الأسماء، وقال: إنه مات سنة ٨٣٣. ويبعد على هذا أن يكون جدًّا لإبراهيم بن أحمد، وفي الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ترجمة لأحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب البقاعيِّ شهاب الدين المعروف بالزهري، المتوفى بدمشق سنة ٧٩٥، فيحتمل أن يكون إيَّاه.

الخامس: أحمد بن محمود بن عبد السلام بن محمود خطيب صَرَفَنْد العدويُّ، من ذرية أبي البركات بن صخر بن مسافر البقاعي البَيْتفاري نسبةً إلى بيت فار، قرية الشيخ عدي بالبقاع، ترجمه البقاعي في كتابيه عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، ومختصره عنوان العنوان، فذكر أنه ولد سنة ٧٨٢ وتوفِّي بدمشق سنة ٨٦٨، وساق بعض أخباره وأسماء من أخذ عنهم، وله ترجمة في الضوء اللامع للسخاوي أيضًا.

السادس: ابنه محمد بن أحمد بن محمود بن عبد السلام العدويُّ الدمشقيُّ، ترجمه السخاويُّ في الضوء وقال: ولد سنة ستٍّ أو سبع وثمانيمائة، وكان من وجوه الناس وأعيانهم، ونظم الشعر وولِّي نظر قلعة دمشق مدَّةً ثم أعرض عنها، بل عرض عليه غيرها فأبى ومات سنة ٨٧٤.

وليس في أخبار هؤلاء الستة ما يُشعر بنزوعٍ إلى نزعةٍ صوفيَّةٍ حميدةٍ أو غير حميدةٍ، فالظاهر أنهم كانوا بعيدين عن الطريقة العدوية وما طرأ عليها.

السابع: شمس الدين محمد بن موسى بن محمد العدويُّ نسبة إلى آل عدي بن مسافر من قبل جدِّه لأمه، وكان من علماء القرن العاشر، ترجمه ابن طولون في ذخائر القصر، فذكر أنه كان أحد العدول القاطنين بمحلة الجسر الأبيض من صالحيَّة دمشق، ثم قال: «لبس مني خرقة التصوُّف العدوية، وقلت له: لبستها عن جماعة من فضلاء عصري ونبهاء دهري.» وساق سلسلة هذه الخرقة إلى الشيخ عدي بن مسافر، ثم ذكر مَنْ قبله إلى النبي ﷺ كعادة أصحاب الطرق في أسانيدهم، قلنا: ويعلم من انتماء مثل ابن طولون إلى هذه الطريقة أنها حُفظت عند بعض الصوفية صافية خالية مما أصابها من طائفة الشيخ عدي حتى بعدوا بها عنه، بل وعن الإسلام.

وبعد فلنعد إلى ما قصدناه من بيان منشإٍ هذه النِّحلة وتكوين هذه الطائفة بعد أن أتينا على ما استطعنا الوصول إليه من أخبار الشيخ عدي وأخبار آله.